

مقهى (عبد ننه) إرث عراقي حضاري

القسم الحادي عشرة

ذياب مهدي آل غلام

أستهلال

نضال المرأة في كل اصقاع الارض غير مجرى التاريخ ، وصنع مجتمعات جديدة في كل مكان ولدت من رحم ثورتها .

من هنا لا بد وان ننوه أنه يستحيل مستقبلا قبول أي تعدي علي حقوق المرأة وخاصة أن الله سبحانه وتعالى كرمهن وأعطاهن حقوقهن المتساوية مع الرجال ؟ اما في وثيقة حقوق الانسان الأممية ، المبدأ الاساسي هو مساواة الرجل والمرأة في كافة الحقوق والواجبات وشبهه العالم الإنساني كطائر له جناحان جناح الرجل وجناح المرأة ولا بد أن يكون الجناحان قويان حتى يستطيع هذا الطائر الطيران بكامل القوة وهذا ما يحتاجه عالمنا الآن لتحقيق التطور والرفي ولا يمكن تحقيقه ونصف قوي العالم تقريبا معطله ولا بد أن نتذكر أن المرأة والرجل معا يمثلون الوجود الانساني ولا يمكن استواء الحياة علي الارض بجنس دون الآخر فليكن جهادنا من أجل مستقبل أفضل وليس من أجل تميز جنس علي جنس فالجميع خلقهم الله .

حوارية افتراضية مع زوجة رضا الحاج عبد ننه العلي (أم جبار)

من منا لا يعرف النساء العراقيات ونضالهن عبر التاريخ . تميزت المرأة العراقية منذ القدم وكانت ولا تزال معيار نهضة المجتمع وتقدمه فمنذ عام 1924 بدأت تفكر بتأسيس منظمة نسوية في بغداد وكان لها دورا مميزا ولكن بنفس الوقت عانت هذه المرأة من ويلات الحروب والازمات الصعبة .

المرأة العراقية هي المناضلة المقاتلة وهي الأم والأخت شدة الحزام وصاحبة الأهاليج الثورية التحريضية ... وهي الفلاحة التي حرثت أرض الفراتين وسقتها دما قبل الماء وزرعتها وردا فأثمرت خيرا..

.. إنَّها راعية الأغنام والأنعام وهي راعية البيت وربَّته وهي الفارسة المغوارة مالكة الحديقة والحقل والبستان والدفتر و البيدر وهي في المدينة التاجرة وصاحبة الأعمال ومقاولات البناء والأعمار وهي الاقتصادية الماهرة الباهرة إنجازا.. ..

العراقية ليست قاصرا أو جاهلا أو فاقدة الأهلية بل هي الشاعرة والمربية والمهندسة والطبيبة والرائدة

في مجال السياسة إنها عشتار العراق إنها الخالدة على مر العصور . والعراقية طالبة علم وأستاذة جامعة وهي المدرسة المربية للأجيال التي تتسمى بأسمائها وهي عالمة الذرة والكيمياء والفيزياء والرياضيات والشاعرة الرائدة المجددة ... وهي القاصّة والروائية إنّها الأدبية الفذة ... وليس من مجال يُذكر وليس فيه مبدعة تقود ، أليست هي الوزيرة منذ أكثر من أربعين عاما وتحديدا في عام 1958 ، وهي رئيسة المؤسسة والمديرة العامة والقائدة الاجتماعية والسياسية ... من منا لا يعرف من هي الدكتورة نزيهة الدليمي ومن هي الأستاذة زكية حقي ومن هي نازك الملائكة وووو إنهن نساء عراقيات مميزات وهناك العديد من الأمثلة والأسماء العراقية التي يفخر الزمان إنهن عراقيات إنتزعن حقوقهن المهضومة بالنضال والدماء والدموع إنهن المربيات والمثّل العليا للنساء ... تعرفنا على المرأة العراقية ونضالها ومكانتها ولكن نرى أن هناك جانباً لم يسلم عليه الضوء وهو معاناة هذه المرأة فإنها عانت وتعاني فلقد تنوعت مشاهد المعاناة وهذه حكاية احداهن ومعاناتها ، أنها زوجة المناضل رضا الحاج عبد ننه العلي (أم جبار) نورية عبود حمود الصباغ من سكنة قضاء المسيب ، لواء الحلة ولعائلة الصباغ المسيباوية صلة رحم وقرابة مع زوجة الحاج عبد ننه العلي (أم رضا) .

وراء كل رجل مناضل امرأة مناضلة . عندما تعتمد اي سلطة غاشمة لمطاردة الوطنيين والتقدميين ، و لما يتعرض هؤلاء من سجن و نفي و اعتقال تأخذ هنا الزوجة دورها النضالي و الصعب للمحافظة على تماسك الاسرة و تلبية احتياجاتها بعد غياب رب الاسرة ، للأسباب المذكورة انفا ، فهي في هذا الموقف شاركت بشكل جدي و فعال في موازنة زوجها ، اخوها ، ابنها ، رفيقها في نضاله بعد ان ملئت فراغه في البيت مضافا لوظائفها كأم و زوجة و بهذا ساهمت بشكل مؤثر في صلابة موقف الزوج النضالي .

التقيتها ، على رصيف الذاكرة بالقرب من مقهى (الرحاب) مقهى الحاج عبد ننه العلي في ميدان النجف (باب الولاية) كما نسميها من ادخل السور ؟

ان ام جبار هذه المرأة الامية التي عانت ما عانت خلال سني نضال زوجها و احبت زوجها و اولادها و من خلالها احبت المبادئ التي ناضل الزوج من اجلها . سألتها يا خالتي أم جبار: حدثيني بشيء من تلك الايام ، عن المقهى والنضال ؟

خاله ذبيان (هذا اسمي في العائلة وفي النجف زمناك) كنت لا ابخل بأي جهد ان أوفره للأولاد ولعائلتي جمعا ، من احتياجاتهم الضرورية وخاله اني كريمة النفس وكريمة الجود واليد ، تعلمتها من أبي وازادها (عمك ابو جبار ، ولاتنسى الحجي عبد ننه كذلك) و رغم العوز المادي لم اطلب المعونة من اقرب الناس لنا و كنت اتظاهر و كأن أبو جبار موجود ، حتى لا أسمع من القريبين و البعيدين اي كلمة تحبط من عزيمتي في موازنة زوجي ، فأستعنت بما ادخرته في زمن الخير و ما ترك لي والدي من ارث في تمشية امور الاسرة المتكونة من ابني الوحيد جبار و بناتي الخمسة ، كانت الفترة ما قبل 1960 فترة خير بالنسبة لنا لأن الجد (الحاج عبدننه) رحمه الله ، هو راعي الاسرة الكبيرة ، من جميع النواحي و منها الاقتصادية و بعد وفاته في منتصف 1960 كان على أبو جبار و بقية الورثة تصفية المقهى لعدم امكانية فتحها ثانية من قبلنا حسب امر الحاكم العسكري العام الذي جاء بتوصية من (حميد الحصونة) انذاك فقطع مورد عيش عائلة كبيرة بأكملها مضافا الى مطاردة ابي جبار من قبل السلطة الحاكمة لم تتركه حرا طليقا فكان اما ان يكون مختفيا او معتقلا او مبعدا او مسجوناً .

خاله أم جبار (احجيلي اشويه) من ذكرى زواجك من أبو جبار (رضا عبد ننه) ؟

كنت انا الزوجة الثانية له ، كان الزواج الاول عندما كان طالبا في المرحلة المتوسطة و زوجه والده من امرأة ريفية لم ينسجم معها و حدث الفراق بينهما و بعدها تقدم لزواج مني ، أني (نورية بنت عبود حمود الصباغ) من سكنة المسيب و من اسرة معروفة فيها ، و لوجود علاقة بين امي و ام رضا ، ارسل خبر الى والدي من قبل الحاج عبد ننه لخطبتي ، وكانوا (المشاية) من أهل النجف شيوخا ووجهاء ومن السادة والعوام ، كلهموا جائوا الى بيتنا في المسيب ، لطلب يدي من والدي (الحاج عبود الصباغ) و قد حصلت الموافقة .



صورة أم جبار زوجة رضا عبد ننه العلي

و كان زواجنا في عام (1941) . و انجبت منه ولدين على التوالي توفوا بعد الولادة بأيام . وفي (1946) انجبت المولود الثالث (عبد الجبار) بعد ان اخضعت خلال فترة الحمل الى الفحوصات الدورية و العلاجات لنلا يحدث للمولود الجديد ما حدث للذي سبقوه . خاله ذبيان ؛ هم اكتب هذا (الراح اكوله) : في بداية اقتراني برضا الحاج عبد ننه ، بدأت المتاعب من خلال نشاط زوجي السياسي و ما تعرض له من اعتقال و مطاردة و ابعاد فتحملت هذه المتاعب بكل طيبة قلب و كان لوجود الحاج عبد ننه الاثر الكبير في ان يشعر الجميع بالعطف و الحنان و الرعاية .

و كانت اول حادثة اتذكرها ، هزرتني واقلقتني ، عندما ابعد عمك أبو جبار سنة (1954) وكان عمر ولدنا عبد الجبار 8 سنوات ، الى عين التمر في صحراء كربلاء هو و مجموعة من المناضلين ، لأنتمائهم

لمنظمة انصار السلام وللحزب الشيوعي ، و في وقتها سافرت الى والدي في المسيب و اخذت جبار معي ، لأطلب من والدي بالتوسط عند قريبهم (عباس البلداوي) متصرف " لواء كربلاء " حين ذاك و في اليوم الثاني ذهب والدي وأخي الأصغر (عبد الهادي) من المسيب الى كربلاء وكنت معهم ايضا ، وعندما دخلنا غرفة المتصرف والتقيناه و اداء التحية والسلام ، والأستفسار عن الاحوال ، وما عنده وما يريده ، (الكلام للمتصرف عباس البلداوي) قال له الحاج عبيد الصباغ : هذا طلب رجاءاً أأمر ان يطلق سراح رضا عبد ننه ، الموقوف في مركز شرطة عين التمر . فأجابه البلداوي متصرف كربلاء : " لا يمكن ذلك فالامر ليس بيدي بس يمكنني ان افاتح الجهات العليا في بغداد و ارجوها في ذلك " ، اغتاض والدي ونهض ليغادر غرفته ، قالت أم جبار؟ فطلب البلداوي من والدي ان يجلس ووعده خيراً . و لكن ذلك يتطلب وقتاً للاتصال و اخذ موافقة اطلاق سراحة و هذا الامر قد يطول حتى العصر ، عندئذ هدى من روعه و جلس ينتظر وبعدها ذهبنا الى بيته ، وكان غداءنا على مائدة المتصرف في داره . و عند العصر جاء امر اطلاق سراح رضا و من معه فرجعنا الى المسيب و رجعت انا وعمك رضا وعبد الجبار كان صغيراً معنا الى النجف .

خاله أم جبار (سولفيلي بعد) عن تلك الايام ؟

أجابت : كم من مرة يداهم البيت من قبل قوى الامن بعد منتصف الليل و نطلب منهم وقتاً لتتجنب النساء و بهذا الوقت أصعد الى السطح مع عمك رضا حتى أساعده على العبور الى سطح الجيران بيت (حميد راشد زياره) و كنا متفقين معهم مسبقاً عند حدوث المظاهرات الليلية . و كنت أخفي الكتب او البيانات او قصاصات الورق . للمزحة قلت لها : شنو كصاصيص ورق شيسوي بيها عمي ابو جبار؟ ضحكت وردت برحابة صدر وبكل طيبة بعدما استدركت بأني اشاكسها مزحة (خاله أنتم أتمموها المناشير السريه) التي فيها معلومات حزبية ، أخبرتها في ملابسني لئلا تقع في ايدي قوى لامن عند مظاهراتهم للبيت . " أكملني بروح والديك خاله " في احد المرات ، في خمسينيات القرن الماضي ، عندما كنا نساكن بيت في محلة البراق ، قريب من عكد المسابج ، وعندما رجعنا من بيت جد الأولاد (الحاج عبد ننه) في الجديدة انا وجبار واخوته التي تصغره ، واذا بالبيت مطوق من جميع الجهات من قبل قوى الامن والشرطة ، ولقد منعنا الشرطة من الدخول ، فكنت أهدأ من روع الأطفال وخوفهم ، و أخفف من هول الصدمة عنهم لكونهم لم يريا هكذا منظر في حياتهم وهم صغار . كسروا باب البيت (أزالام السلطة وشرطتها) وانتشروا في ارجاءه و صعدوا الى السطح و سطوح الجيران لألقاء لقبض على عمك ابو جبار، الذي كان خارج البيت و اعتقد انه كان يعلم بوجود هكذا امر فلم يأتي الى البيت .

خاله أم جبار بعد ثورة 14 تموز 1958 المباركة والفرح الغامر بالعراق وفي النجف ماذا تتذكرين ؟
ياخاله : ما بين بهجة الفرح والاحتفالات والسرور والحلم بغد جديد لنا نحن نساء ورجال العراق حين انبثقة الثورة وقاندها الزعيم عبد الكريم قاسم حدثت اشياء كثيرة لخير الانسان العراقي وانتم تعرفونها ، ودونها التاريخ العراقي نعم خاله اعرف بس شيء غير هذا : هل تتذكرين ؟ نعم خاله ذبيان : اعداء الثورة كثيرين واخذوا (يحوجون) سوافهم الخبيثة المنافقة واحدة بعد الأخرى ، وانتم المثقفين تسمونها أشاعات مغرضه ، وهي فتنة ضد الحق وضد شعب العراق وضد النجف ! كذبوا المنافقين ولم يكتفوا بذلك ! خاله حتى اخذوا يعتدون على كل وطني ومناضل ، وكان عمك رضا بالمرصاد هو جماعته (رفاقه) ضد مثل هؤلاء ؟ شوف خاله ذبيان : خلقولهم هؤلاء اعداء الثورة اشاعه (فتنه) وهنا في النجف بالذات كان لها صدى بواسطة الخبيثاء وجواسيس الجيران وخاصة (آيران الشاه بهلوي) وعمالها المتواجدين هنا في مدارس دينية بحجة يدرسون في الحوزة ، ومنهم يمتهنون الروزخونية ومدفوعة لهم (كروتهم) من على المنابر ان كانت في داخل الصحن العلوي او في المساجد والحسينيات ، ومدعومين من (فوك !؟) يصرخون ويولولون : انظروا يا عراقيين كيف هؤلاء الشيوعيين الملحدون

يتكلمون ، (ماكو مهر ، بس هل شهر ، والقاضي ذبه بالنهر) نقطة رأس السطر ((أكد الكاتب والسياسي حسن العلوي من على شاشات الفضائيات وفي بعض مؤلفاته ومؤلفات غيره وخاصة مذكرات البعثيين ، بأنهم آي البعثيون يختلقون هذه الاشاعات والأكاذيب وينسبونها للحزب الشيوعي ، وللعلم فإن حسن العلوي أحد كوادر حزب البعث آنذاك)) وارجع لخالتي أم جبار لتكمل حديثها . خاله بعض النسوان ورجولتهن صدكوا بهذه الاشاعات لكن خالتك وعماتك واخواتك (النشميات) خاله أم جبار قول لي : رفيقاتك ؟ ضحكت هاي عليك قالت أم جبار : وكانت تقصد عضوات منظمة رابطة المرأة العراقية في النجف . أتحرمن وكفن وكفة مال غيره وناموس وكلهن مع الحق والحقيقة ، يشرحن للعوائل اباطيل هذه الأكاذيب والشاعة . خاله ذبيان كو وحده تتزوج اذا ما يعقدها (السيد لو الشيخ) هذا ما يصح حتى لو بالمحكمة حسب قانون الحكومة (الزنا) التي يكتبها ويوقعها مع الشهود (السيد او الشيخ) المؤهل لعقد القران المتبع حسب المذهب وهو المكلف بهذه المهمة الشرعية . هي الاساس وعليها يصادق القاضي عقد الزواج ويسجله في سجل المحكمة . وهؤلاء كذابون ومنافقون وانتم (مدري شسمونهم طابور شنو ؟) ضحكت وقلت لها : تقصدين يسمونهم الطابور الخامس ؟ أي عفيه نعم كنت اسمعها كثيرا من عمك رضا خاله رفيقك ابو جبار (رضا) ها اشلونه اخالتك هسه ؛ ضحكتنا معا وقلت : انت مدرسة على الفطرة والطيبة العراقية وتعلمت النضال من تلك الجذوة والفكرة الخيرة . خاله ذبيان : " كل اعوج وكل ماييل لا بد وأن يسقط " .

خاله أم جبار مع من كنت تلتقين من المناضلات اقصد الرفيقات وخاصة الرابطيات ؟ كان بيتنا يحتظن كل رفيقاتكم ولنا علاقات اجتماعية مع عوائل كثيرة لكن كنت التقى لكون عمك رضا عليه مهم حزبيه وارتباطات وتوجيه لرفيقاته ، فكن يأتين احيانا الى بيتنا والتي معهن ، كلام جميل وارشادات ومحبة وعلى النية الصافية ، ومنهن والتي لا انساھن (خالة محمد موسى التتجي ، ووصوف راشد زياده ، وأم نهضة زوجة شهيد ابو شبع ، وصاحبتى الحبابه أم حسين سلطان ، وزوجة ناجي صبي ، وأم ضياء القزويني ... " خاله خوب موكلهن نكتب اسمانهن " ادلي خالتي العزيزة .

خاله (دوختج) سؤال آخر : بعد وفاة الحاج عبد ننه ، كيف سارت الأمور ؟ تحسرت وازفرت ، ثم اطرقت رأسها الى الارض ، وبعدها نظرت لي بحنو أم ومناضله وكأني ارى التاريخ يكتبه وجهها البهي ، ومن ثم اصغت السمع لهاجس او صوت من داخلها ليعيد تلك السنوات بحبها وسرورها وجديها ، نظرت بعيدا ومن ثم استدركت وانتبهت بعد هذه الصفته ، خاله ذبيان : بعد وفاة الحاج ابو رضا (عبد ننه) في منتصف 1960 تحملت الأعباء كاملة التي تخص الأسرة ، واستطعت ان انهض بهذه الأعباء بكل عزة نفس ومكابرة (عقت وبجداره) عفيه ذبيان اتعاون خالتك بالكلام : فلقد تحملت ما تحملت رغم الصحة التي بدأت بالتعب . وكان الحزب الشيوعي يقدم لنا معونة متواضعة ، ((الحاج توفي وابو جبار في السجن)) ، خمسة دنائير شهرياً ، لكل هذه الأسرة الكبيرة ، كنت ازور ابو جبار بالتوقيف وفي الأبعاد والسجن ، كنت اتنقل بين مراكز الشرطة والسجون ، مركز شرطة النجف ، والسماوة ، وبغداد ، و سجن الحلة ، ونقرة السلطان ، متحملة بعد المسافة والحر الشديد صيفاً او البرد القارص شتاءً ، لكن خالتك لم يظهر عليها اي علامة للانزعاج او التعب " شايسته بحيلي " رغو انني كنت اشعر بذلك من خلال التعب والانهك الذي يظهر عليه احيانا . وبعد هذا تفرغ رفيقك ابو جبار (رضا عبد ننه) للعمل الحزبي ، وحينها انتقلنا الى بغداد الحبيبة ، في ستينيات القرن الماضي ، تحملت من جديد عبئا آخر من خلال تغيير السكن بين فترة وأخرى ، لنلا يكون عرضة للمداهمة من قبل السلطة . فكنت بفطرتي وعلى نيتي وعفويتي ، ادفع كل التباس او وهم من الجيران او القريبيين من سكننا ، من ناحية عمل ابو جبار الحقيقي ، وكلما يلقي القبض على أحد رفاقه نغير مكان السكن لأخذ الحطية من مداهمات رجال الظلام وزواره للبيت ؟ وهذا من خلال خوفنا من ضعف موقف الرفيق المعتقل امام

التحقيق . وخاله انت تعرف اشلون انغير البيت ونجد سكن اخر وبالسعره الممكنه ؟ فكانت هذه مهمتي في أيجاد البيت البديل . الوقت والجهد الاستثنائي وفي فترة قصيرة جداً وعلى ان يكون ملائماً وأميناً . ومن خلاله المتغيرات الدائمة في السكن ومواصفاته الأمنه ، جعلتني ان اكون مختصه بها ، وحذرة جدا في علاقاتنا مع الآخرين والتحفظ واجب مع الاحتفاظ بعلاقة جيدة مع الجيران . وكنت اجد الاسباب المبررة لدفع اي شك عن اسباب الانتقال من بيت الى آخر . خاله والاولاد كبروا وعندهم مدارس وجامعة وهذه الظروف الصعبة وكل هذه وانا حريصة كل الحرص ان يكملوا تعليمهم ودراساتهم . سحبت شهيق طويل ثم نفذت زفيرها بعدما احرفت رأسها يمينا ، وكأنها تتنفس الصعداء ... خاله ايام لا يقيمها الا اصحابتها المناضلات ! (والنعم من نسوان العراق) . لم يبق لنا سوى الماضي الجميل في وطن ليس لنا فيه سوى ماضيها ايضا . لا نستطيع ان نسترده من سارقيه . لم يكتفوا بمصادرة حاضرننا وانما صاروا يخططون ويشرعون قوانين لمصادرة مستقبل الاجيال الجديدة والقادمة . ما العمل !؟ الا أن نبدأ حلما جديدا يستيقظ عليه صباحا جيل جديد

وحتى مجانين النجف كان لهم مكان في مقهى عبد ننه العلي مثالا :-

من جديد تعود على يدك للنجف ذكرى الأيام التي لاتمر مرة أخرى اليوم نتحدث عن مجانين النجف وهم كثر لابس ، ولقد مروا او جلسوا وكان الحاج عبد ننه وابنه وعماله يتلاطفوهم ويحسنون لهم . رغم بعض الشطحات والمشاكسات لكنهم من ابناء النجف ، ومجانين هذه المدينة يختلفون عن مجانين المدن الأخرى كما هي النجف في تميزها وخصوصيتها ، أذكر لك هنا بعض من عاصرت منهم أو للاختصار سأذكر محسن علي بيج ومجيد چرك : الشيخ محسن علي بيج هكذا يسمى هو شاعر شعبي يغلب على شعره الطابع الحسيني كما إنه رادود في بعض الأحيان يتكلم الفارسية والتركية بطلاقة طبعاً الى جانب العربية كان مختلفاً في جنونه فهو يجن في الشتاء ويعقل في الصيف وهذا خلاف العادة كما هو معروف ؛ كان في نوبات جنونه تلك يجوب الصحن الحيدري ويتكلم بأعلى صوته بأمر فقهيّة وإجتماعية وباللغات التي يجيدها وكان يركز على قضية إصلاح ذات البين بين روسيا وأمريكا وأعتقد لو قدرله أن يمضي بمشروعه قدماً لما إنهار الإتحاد السوفيتي ولما نشبت الأزمة الجورجية ؛ أستولى مرة على قطعة أرض شاسعة على طريق كربلاء بجوار مقبرة المرحوم مصطفى جواد وسيجها وحفر بها بنراً وشيد كوخاً ولم تتفع كل توسلات بلدية النجف بزحزحته عنها وبعدم قانونية الإستيلاء عليها حيث كان (ا ليطنان) وهو آلة حادة شبيهة بالقامة هو الحكم في حل نزاعاته . لم يكن مظهره الخارجي يوحي بأنه مجنون ... الشخصية الأخرى والغريبة حقاً هو مجيد چرك ومجيد من عائلة نجفية عريقة ومعروفة كان يسكن في فضوة المشراق مع إخوته رشيد والذي عذب لحد الموت في أقبية أمن النجف على أثر إنتفاضة خان النص وميري الملقب بأمير الجان والذي كان يقرأ الطالع ويتنبأ بأحداث كثيرة لن تأتي ولن تقع ، مجيد يدعي أن معركة حدثت بينه وبين الجن قطعوا له على أثرها عروگ اللوتية وربطوه بحيث لا يستطيع القيام بأي عمل ، أعتلى مرة نخلة بطلب من أحد أصدقاءه ولكنه حين وصل للعنق لم يقطف ولاثمرة واحدة بحجة إنه مربوط . كان يقول أن معركته مع الجن مستمرة ويخوضها نيابة عنه ثلاثة من الجن الذين يعملون معه وهم : عسكر ومزرجري وچبكبك ؛ وفي إحدى الليالي والناس نيام فوق سطوح منازلهم إستيقظ مجيد وهو يصرخ بأن الجن هجموا عليه وبأسلحة مختلفة كالقطط الميتة والمسامير المعوجة ونوى التمر والتتك المخسّف ... الى جانب هذا كان ينظم الشعر ويغنيه أحياناً وعنده بيت أبودية مشهور يبدأ : بالشقاوة عيب أبطلها ولاجوز ، وأغنية تقول : هذا مومن خوش مومن روزخون ، وهاي فته من أبوجاسم عربون ، وحبل گنب نشبگ المومن شبگ بس يجي يوم الطبگ ؟ وأغنية أخرى فيها مقاطع فارسية : طگ طگه طگ نه مشه والتكملة لاتصلح للنشر؛ يبدو مجيد حين تتحدث إليه إنساناً سوياً لكن ما أن يمضي بك الحديث معه حتى يأخذك الى ملاحمه مع الجن ويصف لك المعركة وكأنك تراها

وقد جن ابن خالته (محمد چمة) لتأثره بغويا تلك المعارك . سألته مرة عن أخيه ميري لماذا لا يحاول أن يجد له عملاً فأجابني أن ميري ملتف عليه (دمبگ عگيب الزمان) لذلك لا يمكنه العمل فتظاهرت بمعرفتي بما قال خوفاً من ردود فعله ... بعد سقوط الأصنام حاولت أن أعثر عليه فلم أفجح وربما يكون قد توفي ... وأخيراً مألذة العيش إلا للمجانين!...؟! عباس سميسم

قصيدة "ملام" أو (الخرايب) ... للشاعر عبد الواحد معله كان من رواد مقهى عبد ننه (الرحاب)

تعد مدينة النجف منبعاً للشعر والأدب وذلك لنبوغ شعراء اعلام فيها في هذا المضمار وضعوا بصماتهم الخاصة والأسس الصحيحة للقصيدة الشعبية في العراق وكتبوا وابدعوا وألفوا مئات الدواوين من اجل دفع مسيرة ادبنا الشعبي الى امام . تفتخر حركة الشعر وخاصة الشعبي منها بانها تضم رموزاً واهرامات تبقى شامخة في فضاء هذه الحركة وديمومة سموها في مجالات الأدب الشعبي الذي يمثل اللغة التي تنساب بكلماتها عبر مسالك الروح انسيابية دقيقة تمتزج بتلاقح سريع مع شعور وعواطف الانسان المتلقي المستمع المتذوق لهذا اللون ، فهي تنساب كالماء الذي ينساب في عروق الضامى وكضوء الشمس عند الشروق وطوفان الفرحة عند لقاء الحبيب بعد الغياب . علماً بان الشعر شيء آخر غير اللغة انه الانحراف عن الكلام المتداول أي الكلام العادي . الانحراف الذي يتجاوز فيه الكلمات ويضغط بعضها على البعض الآخر في تركيب غير مألوف ، فهو الانضال والتلاحق بين ما يمكن ادراكه وما لا يمكن ادراكه ولكن المنتبج لحركة الشعر الشعبي خاصة يلاحظ انه عانى الكثير من عدم قدرته على امتلاك الحرية الكافية والمجال المطلوب في تحركه مما قاده الى التنازل عن جانب ثمين ومقدس من ذاته الى غيره وعلى اختلاف الصعد كالدين والسياسة والاخلاق وغيرها من الامور التي كان مرغماً او متزلفاً لذلك . فمن طبيعة الشعر هو الدفاع عن صفاته وذاته كما يدافع الانسان عن حرته .

اليوم نستذكر واحداً من ابناء هذه المدينة هو الشاعر الكبير الراحل عبد الواحد معله النجفي " نعم " كان من رواد مقهانا هذا ، مقهى عبد ننه . ولد من رحم مدينة النجف في العراق الأشرف ، عام 1928 ونشأ وترعرع في أزقتها في محلة (العمارة) وشغف بحب هذا الأدب الشعبي فكان للشاعر عبد الرزاق معله الدور البارز في تشجيعه واتقن كل فنون الأدب الشعبي وكتب في اغراضه حتى أصبح رمزا شاخصا من رموز هذا الادب وجعل له حضورا متميزا في الوسط الشعري وبين زملائه من معاصريه ومع جيل من الشعراء الشباب فكان يكتب من واقع حياته اليومي ، الشاعر عبد الواحد معله : شاعر لقصيدة متفردة تقرأها احيانا لتجدها لا تحمل شيئاً ، وتردد بعض ابياتها في أحياء أخرى مع نفسك بإعجاب ، قصيدة لم يتمكن شاعرها من تجاوزها ! فقد كتبها وانبهر بها كل حياته او ربما هكذا قيل عنه ؟ ونام تحت خيمتها وظل كل حياته يقاوم تهمة القصيدة الواحدة ، والمقصود هي قصيدة (ملام) او كما هو الشائع بأسمها (الخرايب) الشاعر الراحل عبد الواحد معله ، ذو أسلوب بديع عالج فيه الكثير من القضايا الاجتماعية ونراه هنا يخاطب الآخر من أجل المرأة المظلومة والمهتزمة :

اشرايده المتدوهنه بالهم تدور

اشكاصده والهم خويها ابدورها

لا تخليها تمر ببينات الكصور

خاف تزعجها اوتكدر اكصورها

* * *

هنا يبنت الضيم لاوين اتغدين

امدولبه اوتتعثرين اليا سبب

اتناخت الكاع اعله هدمج والسنين

اوشرشبت فجة عباتج بالحطب

اومولحه ثوب وجه متلاونين

اوبادي الجوع اعله وجهج والتعب

هاي هم قسمتج وايامج تجور

اتحيرينه بالايام اوجورها

البزايز ترتوي من الصدور

اشلون بصرك من تسد اصدورها

فأن الكثير من كتبة الشعر يملأون الورق بقصائد لم يبق منها شيء في ذاكرة الشعر ... ويظل الشاعر المبدع خالداً حتى لو كتب للأنسان بيتاً واحداً من الشعر الجديد . وهذه الرائعة قصيدة الخرانيب (ملام)

مَنِيْدِيْ وَيَا ذَنْبُ تَجْنِيهِ الْاَيَّامُ

شَجْنِي السَّجَه الْعُوسَجِ وَالْخِرَانِيْبِ

اَنِي وَمَا سِوَايْ بُهَائِي يَنْلَامُ

جَا مَا أَثَرْتُ بِيَّ التَّجَارِيْبِ

كُلْ مَا صَارَ بِيَّ حَيْلٌ وَيَّاي

مِسْتَاهِلٌ بَعْدَ أَكْثَرِ وَأَكْثَرِ

جَا لَنْ مَا حَسَبْتُ حُسَابَ دُنْيَايِ

و كُلُّ مَا صَابِنِي لَا تُظَنُّ أَثَر

أَنِي خَرَكْتُ رُوحِي، وَشَمْعَةَ صَبَاي

أَضَوِّي لَعْدُ غَيْرِي خَافَ يَغْثَر

لَبَّالِي الْفَضْلُ؛ بِالْفَضْلِ يَنْسَامُ

وَبِالطَّيِّبِ يَنْجَازِي أَلَّ يَعْمَلِ الطَّيِّبُ

أَثَارِيْنِي كَصَيْرِ الرَّاي وَهَام

أُرِيدُ مَنْ الْعَوَاهِرُ تَعْرِفُ الْعَيْبُ

بُكَيْتُ بَوَاهِمَ مَا هَمَّنِي الْجَزْ وَفَاتُ

أُرِيدُ أَصْبَحُ مِثَالِي بَيْنَ هَا النَّاسِ

حَضِرْتِي تَعَلَّمْتُ جِلْمَةً نَكِرَ ذَاتُ

مَكْصُودِي أَوْصَلَ الذَّنْبُ لِلرَّاسِ

كَلِمَتُ خَلِّ اسْهَرِ وَخَلَّهْ بَهْنَا يَبَاتُ

وُخَلِّ أَظْمَا وَادِيرِ لِيَمْنَتَهُ الْكَاسِ

فَرَّقْ مَا بَيْنَ بَانِي وَبَيْنَ هَذَا

أَعْمُرْ لَهُ ؛ يَجَازِينِي بِتَخْرِيْبِ

صِدْكَ يَا نَاسُ يُوْ أَضْغَاثِ أَحْلَامِ

وَدَاعَةَ حَمَلٍ لِاجِنِ الطَّبْعِ ذَيْبِ

غَيْرُ يَكُونُ وَخَدَهُ اثْنَيْنِ، وَتَصَيِّرُ

عِبْرَةً، وَاعْتَبِرْ، وَاصْحَى لِرِمَانِي

غَيْرُ يَكُونُ أَكْوَمَ أَحْسَنِ التَّدْبِيرِ
وَإِخْلَى هَايَ تَرْجِيَّهِ بِإِذَانِي
غَيْرُ يَكُونُ عِنْدِي يُصَيِّرُ تَفْكِيرِ
وَاعِي، وَأَحْذَرُ مِنَ اللَّيِّ جُؤَانِي
كُلُّ هَذَا، وَنَا سَاهِي الْفِكْرِ، خَامِ
بُؤْهَمُ حَدَّارِ نُؤُبْ، وَنُؤُبْ تَغْرِيْبِ
لِلْخَطَّةِ نَكِدَتْ مَرَصْعِي وَنَامِ
أَلْجَهَ وَصِرْتُ مَطْمَعٌ لِلْوَاعِيْبِ

جَانِ الْوَاجِبِ بِأَوَّلِ الْمِهْدَادِ
أَشَوْفَهُ كُحِيلَ لَوْ بَسَّ الْمَحَاجِيلِ
عُودٌ عَلَيْهِ أَرَاهَنَ لَوْ شِفَتْ جَادِ
بُعْزَمَهُ وَكَامَ يَرْكُضُ أَوَّلِ الْخَيْلِ
كَلَيْتُ مِنْ عَشْرٍ: هَاذِي عَثْرَةَ أَجْيَادِ
وُخِذْ عَنِّي مَعَارِفَ تَغُرَّ وَشُلِيلِ
أَتَمَائِزِ شَكْلٍ، وَأَنْظُرِ الْهَنْدَامِ
لَجَنِّ يَا خَيْبَةَ الْبَرَاهِنَةِ يُخَيِّبِ
أَلِكْدُ بِيهِ، مَا يُوصَلُ لِلْجُتَامِ
بِمَجَانِهِ وَفَاتَتَهُ حَتَّى الْمَغَالِيْبِ

عَلَى نَفْسِي جَنَيْتُ وَمَا تَوَانَيْتُ

ولا كَعَيْتُ رُوحِي وَحَاسِبَتِهَا
هَلْ تُشَوِّفُ بَتَ اللَّظَنِّ ظَلَّيْتُ
وَعَافَتَنِي الرِّفَاكُهِ الْمَا عِفَّتِهَا
غُوذُ السَّاعِ حَسَّيْتُ وَتَوَعَّيْتُ
عُكْبُ مَا ذَرَّتْ بَعَيْنِي خَفَّتِهَا
يَكُولُ الْمَثَلُ: بَعْدَ الْخَيْرِ جِدَامُ
وَرَاعِي الْغَيْبِ هُوَ الْيَعْلَمُ الْغَيْبُ
وَحَكَالَهُ لَحُطُّ جَوِيهِ عَلَ إِبْهَامِ
جَوِيهِ تِظْلُ تِدِّي لِآخِرِ الشَّيْبِ

وَلَوْ جَوِيَّاتُ كَثَرَهُ الْغِدْتُ عَلَايْتُ
شَمَا يَبْرُنَ إِلَيَّ مِنْهُنَّ عَلَامَهُ
يَهُوْنَنَ، لَاجِنُ الْيَكْلِفَنِي وَيَجِيدُ
الْأَشَدَّ مِنْهُمْ عَلَى رُوحِي الْمَلَامَهُ
أَنَا مَدَيْتُ إِيْدِي، وَخَلَوُ الْكِيدُ
بَيْنَهَا ، وَجِنْتُ أَظَنَّهُمْ نِشَامَهُ
إِلَ بَيْهِ جِنْتُ اعْتَقِدُ لِلْكِيدِ فَصَامُ
وَعَلِيهِ جِنْتُ أَحِثُّنْ حَنَّةَ النِّيبِ
جَتَّفَنِي وَرِمَانِي بَيْرَ إِغْدَامِ
وَمَا يُلْحَكُ عَلَيَّ شَيْخُ الْجَلَابِيْبِ

هاذا أَنه يَمَنْ تَنَشِدُ عَلَى الْحَالِ
على نَفْسِي جَرِثْ، مَحْذُ عَلَيَّ جَارِ
عَفِثْ مَجْرَى الْعَذْبِ وَرُضِيتِ الْاَوْشَالِ
وَتَحَفَّيْتُ وَسَحَكْتُ بِجَلَّةِ النَّارِ
وَرُوحِي هَمَلَتْهَا أَيَّامٌ وَلِيَالِ
وَكَلِمَا صَابِنِي، وَاللي عَلَيَّ صَارِ
مَنْيْدِي وَيَا ذَنْبُ تَجْنِيهِ الْأَيَّامِ
شَيْجَنِي السَّجَّةِ الْعُوسَجِ وَالْخَرَانِيبِ
أَنِي وَمَا سِوَايَ بُهَائِي يَنْلَامِ
جِيهِ مَا أَثَرَتْ بِي التَّجَارِيبِ

وأخيرا ظل صوت (أبا منهل) ذلك الصوت القوي يصدح شعرا حتى رحيله الأبدى عام 1998 في بغداد ،
فقد ترك بصماته في ذاكرة الناس وباتوا يرددون قصائده ليومنا هذا .

مسك الختام

تحية للمرأة العراقية المناضلة تحية لكل الامهات العراقيات المناضلات مشاعل النور و شموع هذا الزمن
الصعب و أمينات المستقبل لقد تحملن من المصائب ما لوصبت على الايام لصرن لياليا. محبتي و
احترامي و اجلالي لكل امرأة عراقية شريفة عضت على المباديء باسنانها و لم تهتز أمامها الصورة
رغم الزلزال العظيم. أن شاء الله يكون الغد أجمل و يسجل لها التاريخ بأحرف من نور مآثرها لتكون زادا
روحياً للعالمين و سفراً للأحفاد تحية للأُم الصادقة الشجاعة ساندي التي و ان فشلت في منع ابنها من
الذهاب للحرب الا أنها سعت للوقوف بوجه حكومتها المجرمة

الأسف كل الأسف على عجز مثقفينا عن تنوير شعوبنا بما يمكنها من العمل باتجاه التغيير . الام و المثقف
هم صناع الغد و قد نجحت الام حيث أخفق عدد كبير من مثقفينا " أموه حزني بألف شعار، وألف
على خاصرة ذاكرتي كل جنون الكون ، لعلي أتيقن من أن القادم أكثر بريقاً من ضياء عيون صبية فراتية

الانتماء ، ما دامت أحلامنا نحن الذين أبتلينا بحب هذا الوطن الذي اسمه العراق ، لا تعدو كونها رغبة امرأة قروية تشتت في لحظة الوجد في ليلة مقمرة .

أموه حزني بألف شعار، وأنسج في مخيلتي تفاصيل حكاية حب ، لعلمي أتيقن من القادم أكثر راحة من أبتسامة طفل أرتوى من صدر أمه للتو، وبات ينسج من ضحكته شجرة بنفسج تفتقت زهورها عن عطر، لا يرتاب به غير القتلة وصناع الموت البشري بالمجان ، وما أكثرهم في عراق ندعوه وطننا لنا نحن أبناءه الحالمين ناشتي "

(يتبع)